Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كذا تنسج الرواية إجابتها على ذلك السؤال، فتتقاذف الشخصيات حكايتها وتخبط في هذياناتها مجتمعة في (بيان الأبطال)، ثم منفردة، منذ أن يتولى بليغ الرواية في الفصل الثاني. وإذا كان بليغ سيسلم الرواية لسرحان في الفصل التالي، ولسواه في أشتات من الفصول الأخرى، فإن تقاذف الحكايات وخبط الهذيانات يأخذان في الانتظام كلما أحكم (بليغ) قبضته على الرواية، معتمداً على الذاكرة والتذكّر، وهذا كله يقتضي وقفة خاصة، لأنه يسرد الوقائع الروائية الكبرى منذ السبعينات إلى التسعينات كما سنرى.

***

بليغ الحمود، الأربعيني الذي عرف بالنمس والهزاز، يروي في الفصل الثاني ما وقع بعد مقابلته (الأستاذ) صهر (البابا)، بفعل شقيقه هو: الضابط عادل. والزمن هنا كما في (بيان الأبطال) هو الراهن الروائي. أما ما مضى فستتولاه الذاكرة التي يشكوها بليغ منذ هذا الفصل "ذاكرتي مضعضعة". وسيعيد الشكوى في الفصول الاستذكارية التالية: "يا لهذه الذاكرة. إنها معطوبة ولا تريد أن تموت ولا أن تحيا: الفصل الخامس". وفي مستهلّ الفصل التاسع يأمر أبو السبل بليغاً: "تذكّر". عليك أن تتذكر. الذكريات تصل. تقولها أنت. آمرك أن تقول". ويقسم بليغ عما قليل: "أقسم أنني مرغم على أن أتذكر". وسنقرأ في مستهلّ الفصل العاشر "تذكّر ما يجب تذكّره".

تذكّر: فعل الأمر هذا يعدو الزمزمة الملعونة لبليغ، ولعله كذلك حقاً بالنسبة للرواية، لأنه المفتاح الوحيد الذي فرضه الكاتب لسرد أغلب ما كان. كذا نتعرف على طفولة بليغ في قرية من ريف طرطوس: الأب السكير، والأم التي يودي بها الطلاق إلى الجنون، زوجة الأب التي سيسجّل بليغ باسمها وستحمّلها الرواية اسم الأم الورقية، الشقيقتان اللتان يؤجرهما الأب في بيروت خادمتين، فتعود الأولى وتجنّ، وتختفي الأخرى.

لقد غادر بليغ القرية ليستعيد شقيقته الضائعة. وبفضل طريف الذي أحب أم بليغ ويرسمها، يصل بليغ إلى بيروت، ويبدأ الرحلة الدونكيشوتية في لبنان الحرب الأهلية. وتتوالد وتشتبك الحكايات، فتستعيد من الطفولة والمراهقة أو نستقي من المخيلة الشعبية الدينية والحافظة التراثية مكررة ما هو متداول (مثل حكاية الثعلب والبراغيث وحكاية الأم وسبدنا سليمان).

في هذا السياق تأتي محاولة عصرنة دونكيشوت، كما رأينا محاولة عصرنة شهرزاد. والعصرنتان تتثلثان بلعبة فاوست. فحصان دونكيشوت يطلع في